90322

العلماء العاملون

حياة الحسن البصري

ومسيرته العلمية

تأليف
الدكتورة روضة جمال الحصري

دار الكلم الطيب
دمشق ـ بيروت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار الكلم الطيب للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ حلبوني ـ شارع مسلم البارودي ـ هاتف ٢١٢٩٨٨٦ ص.ب ٣٠٥٥٢
بيروت. ص.ب: ١١٣/٦٣١٨

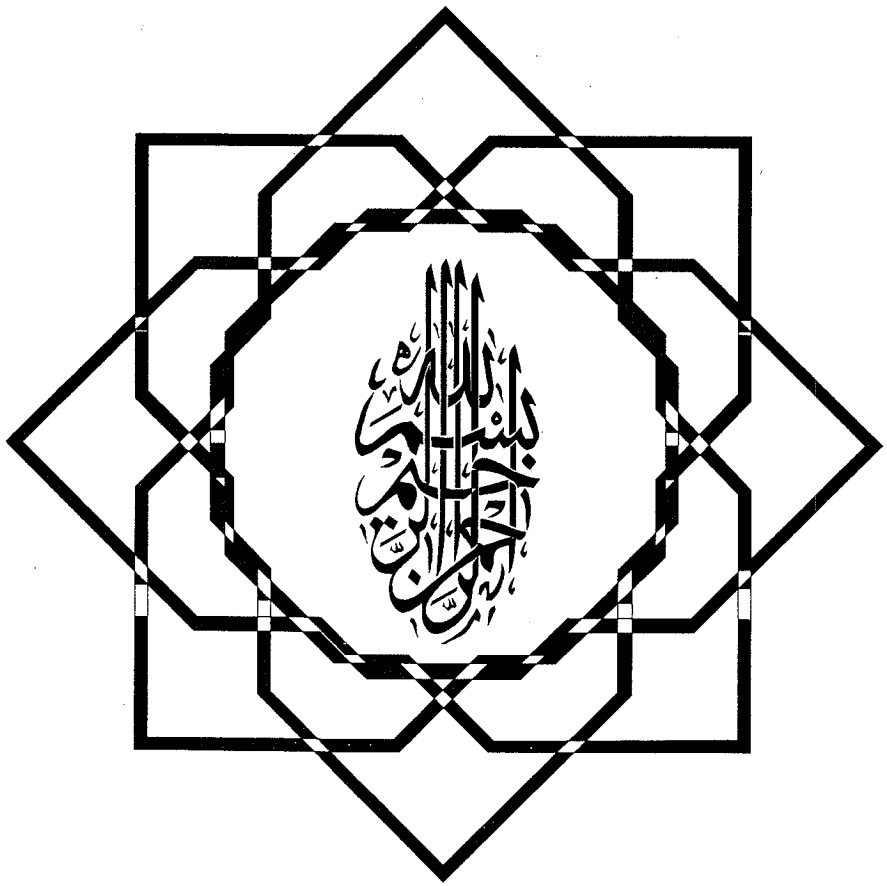

مُقدِّمَةُ المُؤلِّفَة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن الحسن بن أبي الحسن البصري ـ رحمه الله ـ من علماء الأمة العاملين الأتقياء، الذين تفتخر بهم الأمة على مر العصور، بما اشتهر به من الزهد والورع، والصدق في النصح، قال عنه محمد بن سعد رحمه الله: «كان الحسن رحمه الله جامعاً عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، حجةً، مأموناً، عابداً، ناسكاً، فصيحاً، جميلاً، وسيماً»[1].

ولقد هبتُ في البداية أن أكتب عن هذا العالم الجليل، لأنه قد سبقني في الكتابة عن هذا الإمام علماء أفاضل، تناولوا جوانب من حياته، وأسهموا في إبراز شخصيته وتميُّزه.

ولكن الذي دفعني وشجعني على الكتابة عن الحسن وفقهه هو أن الجيل الناشئ يجب أن يعرف هذه الشخصيات الفَذَّة من أجداده الأول، ليعتز بها، ويتخذها قدوة في حياته، وخاصة أن أهل هذا الزمان بحاجة إلى قدوة، وإلى فكر الشخصيات المتوازنة من شخصيات هذه الأمة، لا سيما وقد جهد أعداؤنا في تشويه أمثال هذه الشخصيات لقطع الصلة معهم، وترك الأسوة بهم، لأن هؤلاء العظماء وأصالتهم باستقامتهم في سلوكهم وأخلاقهم، والسير على منهج خالقهم، وبفكرهم الحر النير استطاعوا دحر هؤلاء الأعداء، واستطاعوا أن يتغلبوا على أكبر دول العالم آنذاك، ووصلت فتوحاتهم إلى مشارق الأرض ومغاربها فلا يريد عدونا أن يعيد التاريخ نفسه فيلجأ إلى ما يلجأ إليه.

---

(١) ينظر البداية والنهاية: (٧/ ١٥)، الطبري: (٣/ ٢٥٨)، تاريخ الخميس: (٢/ ٢٤٠)، تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء (ص٢٥٣)، موسوعة عظماء حول الرسول: (١/ ٢٩٠)، التاريخ الإسلامي: (٣/ ١٩١، ١٩٦).

وهناك ناحية مهمة ثانية كانت هدفاً من البحث (هو أن كثيراً من أبناء جلدتنا، يضربون بأمجادنا وشخصياتنا وعلمائنا ومفكرينا عرض الحائط، ويتغنون بأمجاد أمة لا تمتّ إلى أمتنا ولا إلى ماضيها، ولا إلى حضارتها وتاريخها بأية صلة)[1]. فكان لزاماً على طلاب العلم، بل أمانة في أعناقهم أن يعرِّفوا هؤلاء بأمثال هذه الشخصيات، الذي كان كل واحد منهم أمة بما أوتي من علم وعمل ودعوة وزهد لإعادة بناء مجد أمتنا، والوصول إلى مدارج الرفعة والكمال باقتدائنا بهم، ولنبين أن هذه الأمة بعلمائها خير أمة أخرجت للناس، فرحمهم الله وأجزل مثوبتهم.

وقد رأيت من المناسب أن أعرض حياة الحسن البصري ومسيرته العلمية، من خلال أربعة أبواب رئيسة، وكل باب قسمته إلى فصول، وكل فصل إلى مباحث، لتظهر من خلال ذلك حياة كريمة وفاضلة، ترعرعت واكتملت في أوَّل خير القرون، ورسمت بالقول والفعل أنموذجاً صالحاً، وقدوة حسنة، لأجيال الأمة المسلمة على توالي الأعصار، وتتابع الدهور.

دمشق الشام في:

٢٥ ربيع الأول/١٤٢٢ هـ

١٦ حزيران/ ٢٠٠١م

الدكتورة

روضة جمال المصري

(١)انظر الحسن البصري لأستاذنا د. مصطفى الخن (ص٩).

الباب الأول

مدخل إلى حياة الحسن

الفصل الأول: الحياة السياسية في عصر الحسن.

الفصل الثاني: الحالة الاجتماعية.

الفصل الثالث: الحياة الفكرية.

تمهيد:

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد ﷺ، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فلدراسة أي شخصية من الشخصيات دراسة علمية دقيقة، ينبغي أن يُلقى ضوء على العصر الذي عاشت فيه تلك الشخصية، من جميع الجوانب. لنعرف مدى تأثير العصر على هذه الشخصية، لا سيما أن الإنسان ابن بيئته يتأثر بها، ويتفاعل مع الأحداث التي تحيط به.

ونسلط الآن ضوءاً على أعظم شخصية من شخصيات القرن الأول الهجري، وقد شهد النبي ﷺ لهذا القرن بالخيرية عندما قال: «خيرُ النّاسِ قرني، ثمَّ الذينَ يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونهم»[1].

هذه الشخصية هي شخصية رجل كانَ أُمَّة، بما أوتي من علم، وفكر ، وزهد، ودعوة، هذه الشخصية هي: الحسن بن يسار، الملقب بالبصري، الذي نشأ وترعرع في أحضان خير بيوت الدنيا، بيت رسول الله ﷺ عند أم سلمة المخزومية، أم المؤمنين رضي الله عنها.

ولد رضي الله عنه لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (٢١هـ) وتوفي سنة (١١٠هـ)[2]. عاش أكثر حياته معلّما، داعياً، زاهداً، مرشداً.

وقد تميز العصر الذي عاش فيه، بتقلب كبير ما بين عصر الصحابة الذين خالطهم ورآهم وأخذ عنهم، وتأثر بهم، إلى عصر الخلفاء والأمراء من بعدهم، بدءاً من معاوية رضي الله عنه، وولده يزيد، إلى خلافة هشام بن عبد الملك.

---

(١) البخاري: كتاب الشهاداتُ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (٣/ ٢٢٤) برقم (٢٥٠٩٩) والحديث بتمامه: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهمُ ثم الذين يلونهمُ ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينُه شهادتَه». ومسلم: كتاب الفضائلُ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهمُ ثم الذين يلونهم (٧/ ١٣٨) برقم (٢٥٣٣).

(٢)الوفيات: ابن قنفذ (ص١٠٨).

عاش في نشأته الأولى بين الصحابة الذين اقتدوا بالنبي ﷺ، وكان منهجهم في حياتهم قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١].

فقد عاصر عثمان رضي الله عنه وشهد مقتله، كما رأى علياً رضي الله عنه، وعاصر معاوية، وولده يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، وولديه الوليد، وسليمان، والإمام العادل عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وفي خلافة هشام بن عبد الملك انتقل إلى رحمة الله ورضوانه[1].

فالحسن ـ رحمه الله ـ شخصية متميزة، تجمع روح العصر الأول، وهو من أسياد التابعين من رأس الطبقة الثالثة[2].

درس العصر الأول دراسة عميقة، أثَّرت فيه أحداثه، وأدرك روح عصره، وعرف كيف يتطور المجتمع، وكيف أخذ يختلف عن سابقه، فقد كان درة تتلألأ علماً وتقى، وشخصية فذة، أثرت في العلوم الإسلامية ووجهت الدفة إلى السلامة، في فترة عصيبة من حياة الأمة، فكان كلامه شبيهاً بكلام الأنبياء، ومقاله مقال الأولياء والزهَّاد.

وعلى الرغم مما واجهت الأمة في سيرها من عقبات نتاج التَّحوُّل عن الخط الأول، ذلك التَّحوُّل الذي كان سببه المادية التي انغمسوا بها، وتَرَكها العصر الأول تعففاً وزهداً، والانحطاط الخلقي، والروحي الذي بدأ يظهر، بسبب رواسب الجاهلية الأولى، وكسر باب الفتنة، بدءاً من مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، واستمرارها إلى يومنا هذا، نجد الحسن في هذا كله يقف وقفة الدعاة المخلصين، آخذاً بيد هذه الأمة نحو الرشاد والاستقامة، جاعلاً منهجه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨].

فلنتعرف على هذا العصر، وتقدير الجهود الجسام الذي بذلها إمامنا ـ رحمه الله ـ.

(١) ينظر البداية والنهاية (٧/ ١٥٠) وتاريخ الإسلام (١/ ٢٩١) وما بعد.
(٢) طبقات الحفاظ (ص٣٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٧١).

الفصل الأول
الحياة السياسية

المبحث الأول: الخوارج.

المبحث الثاني: الشيعة.

المبحث الثالث: الزبيريون.

المبحث الرابع: الخلفاء والأمراء الذين عاصرهم الحسن.